بسم الله الرحمن الرحيم

الأدب بين الإلزام والالتزام

تختلف مواقف المذاهب الأدبية من الإلزام والالتزام، ويختلف بالتالي موقف الأدباء والنقاد في هذا الموضوع، فهناك من ينادي بحرية الأديب وانطلاقه من كل قيد، محتجين بأن الفنان يجب أن يستلهم قواعد الفن وحدها، وهم يذهبون إلى أن الخير يصدر عن الأديب بصورة عفوية من دون أن يلزم نفسه أو يلزمه أحد بمبدأ فكري أو ديني أو خلقي، ومن دون أن يطلب منه أن يكون أداة إصلاح يؤثر في الجماعة كما يريد، أو كما تريد له الدولة أو المجتمع.

وهناك فريق آخر يرى أن الأديب ينبغي أن يُلزَم من قبل الدولة بالمذهب الذي يسيِّرها، وعلى الأديب أن يصدر في نتاجه كله عن هذا المذهب، وليس له أن يخالف عنه أو ينقده، وإلا اعتبر مارقاً وخائناً للدولة. وهذا الإلزام كان مطبقاً في دول المعسكر الشيوعي وهو ما يسمى بمذهب الواقعية الاشتراكية، وهو مذهب يقوم على التسخير والردع، ويقتل الإبداع، ويجعل الأديب عبداً مسترقاً للمبادئ المفروضة عليه قسراً.

وهناك مذهب ثالث يعد وسطاً بين مذهب الحرية المؤدي إلى الفوضى تحت شعار الفن للفن، وبين مذهب الإلزام المؤدي إلى العبودية الخانقة، ذلك هو مذهب الالتزام الذي يعني صدور الأديب طواعية عن تصور فكري أو اجتماعي أو سياسي معين، يؤمن أنه يخدم به مجتمعه أو ينفع به الإنسانية عامة، وفي هذا نرى الناقد نورمان مالر يقول في مؤتمر أدبي: « إن الالتزام هو بمثابة طوق النجاة في خضم القيم المتصادمة في عالم اليوم صداماً أدى إلى الفوضى».

ومذهب الالتزام هذا لا يؤدي إلى الفوضى المدمرة، والانحلال المفسد، والهروب من المسؤولية باسم الحرية والانعتاق، مما نراه في المذاهب الفوضوية والوجودية. كما لا يؤدي إلى قتل روح الإبداع، واستعباد الأديب... باسم مصلحة الدولة أو مصلحة الحزب المتربع على قمة الدولة.

وإذا أمكن تعريف المسلم بأنه إنسان ملتزمٌ الإسلام فإن الدولة الإسلامية ذاتها دولة ملتزمة، وهذا ما يعطيها سلطة المراقبة والتوجيه من دون الوقوع في الإلزام والتسخير، وهو ما نراه ماثلاً في موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي ألقى الحطيئة في قعر مُظْلمة حين مضى يستبيح أعراض الناس وهو ما يحرمه الإسلام.

وإذا كان بعض الأدباء الواقعيين أو الوجوديين يبيحون لأنفسهم أنواع الموبقات بحجة واهية، هي إتاحة الفرصة لتجارب الأديب أن تُعمّق وتتنوع فهذا نوع من الالتزام بين الأديب والشيطان.

أما الأديب المسلم فإن له من حُمَيَا الإيمان في قلبه، ومن صدق إحساسه بما يحيق بالأمة الإسلامية من المحن والكوارث، ومن عمق إنسانيته – وهو على دين الفطرة – ما يفجر الشعر على لسانه، ويذكي التجربة في فنه، وهذا شعر الدعوة الإسلامية منذ معركة الرسول ﷺ مع كفار قريش، إلى شعر الحماسة في الحروب الصليبية، إلى الشعر الإسلامي المعاصر، يقوم كله حجة بالغة، وشاهداً ناطقاً على أن الأديب المسلم هو أديب ملتزم.

رئيس التحرير